



# الأدب بين الالتزام والإلزام

كذلك لم يتفق الأدباء والنقاد على تعريف "الالتزام الأدبي" وذلك لاختلاف مذاهبهم ونزعاتهم ومواقفهم من هذا المصطلح. ومع ذلك فلا بأس أن نورد طرفاً من هذه التعريفات لتقريب هذا المصطلح من الأذهان.



بقلم: د. عبدالقدوس أبو صالح

فقد عرفه الروائي الأمريكي نورمان مالر بأنه "نوع من التعاقد أو الارتباط بشيء خارج الذات" (١).

وعرفه الشاعر الاسكتلندي هيوماكد يارميد بأنه "الالتزام السياسي والجهاد في سبيله، وتسخير الأدب للدعوة له" (١).

وقصره الدكتور محمد غنيمي هلال على الشعر - مجارياً سارتر في موقفه الأول - فقال (٢): "ويراد بالالتزام

تعريف الالتزام في اللغة والاصطلاح: "الالتزام" لفظة عربية فصحة وقديمة، فقد جاء في لسان العرب: "لزم الشيء يلزمه.. والتزمه.. وألزمه إياه فالتزمه". وجاء في أساس البلاغة: "والتزم الأمر، ومن المجاز: التزمه: عانقه". وجاء في القاموس المحيط: "التزم الشيء لزمه من غير أن يفارقه. والتزم العمل والمال: أوجب على نفسه".

أما تعريف "الالتزام" في الاصطلاح الحديث: فهو لا ينصرف إذا أطلق إلى "الالتزام الأدبي" فقط، لأن هناك أنواعاً من الالتزام العقدي أو الخلفي أو السياسي أو الحزبي أو العسكري إلى آخر ما هنالك من أنواع الالتزام التي يحددها الوصف.

الشاعر وجوب مشاركته بالفكرة والشعور والفن في قضايا الوطنية والإنسانية وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال".

وعرفه الدكتور محمد مصطفى هدارة بأنه يعني "ارتباط الأديب بقيم أو مبادئ أو قضايا محددة، تشربها عقله ووجدانه، فكل تفكير أو تعبير صادر عنه، يكون في نطاق هذا الارتباط أو الالتزام"<sup>(٢)</sup>.

وعرفه جبور عبد النور في المعجم الأدبي بقوله (٤): "هو حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية، والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير الخارجي عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب أو الفنان من آثار. وتكون هذه الآثار محصلاً لمعاناة صاحبها وإحساسه العميق بواجب الكفاح والمشاركة الفعلية في تحقيق الغاية من الالتزام".

وعرفه الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - وهو أحد رواد الأدب الإسلامي - بقوله (٥): "هو أن يلتزم الأديب في كل ما يصدر عنه من أدب فكرياً محددًا من الأفكار أو عقيدة من العقائد، أو نظرية من النظريات، أو فلسفة من الفلسفات، سواء أكان ما يلتزم به دينياً أم سياسياً أم اجتماعياً أم نحو ذلك، بحيث يكون أدبه نابعاً مما اعتقده ممثلاً لما اعتنقه، غير حائد عنه، أو خارج عليه".

**موقف الآداب العالمية من الالتزام:**  
نستطيع أن نقسم الآداب العالمية من حيث موقفها من الالتزام إلى

☆ د . محمد مصطفى هدارة :

الالتزام : ارتباط الأديب بقيم أو مبادئ أو قضايا محددة تشربها عقله ووجدانه ..



☆ د . محمد غنيمي هلال :

التزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكرة والشعور والفن في قضايا الوطنية والإنسانية .

مذاهب عقدية " إيديولوجية " كالواقعية الاشتراكية والوجودية، وإلى مذاهب حرة " ليبرالية " يأتي في مقدمتها مذهب الفن للفن، ويضاف إليها مواقف فردية لبعض المشهورين من الأدباء والنقاد الذين ترددوا بين الالتزام ورفضه.

وما من شك في أن مصطلح " الالتزام " وهو في الأصل مصطلح حيادي، قد استغلته الشيوعية أسوأ استغلال في نظريتها الأدبية التي سميت بالواقعية الاشتراكية، " وذلك أن أقطاب الشيوعية أدركوا أثر الفنون بعامة، والأدب بخاصة، في بناء المجتمعات وتكوين العقول، وصياغة الوجدان، ووعوا أثرها في دعم الأنظمة

والمذاهب حتى قال ستالين: " الفنانون والأدباء هم مهندسو البشرية " .. ومن ثم فقد حرم (النظام الشيوعي) على كل أديب أن ينتج أي لون من ألوان الأدب، يعارض المذهب الذي اعتنقته الدولة، وارتضته للشعب.. وبذلك عدّ الأديب المعارض للعقيدة الماركسية خائناً لأتمته وقضاياها، منحازاً إلى أعدائها"<sup>(٦)</sup>.

وأخذت الشيوعية تطبق مبدأ " الإلزام " القسري عن طريق سلطة الحزب أو سلطة الدولة، فهي تغدق على الأدباء الملتزمين أصناف الرتب والامتيازات بينما تضيق الخناق على غير الملتزمين تضيقاً، يبدأ من تسليط النقاد الملتزمين عليهم لينتهي

ينفي بعضهم إلى مجاهل سيبيريا أو إدخالهم إلى بعض المصححات العقلية.

وهكذا نرى أن الالتزام الأدبي أصبح في قبضة الدولة الشيوعية إلزاماً قسرياً سمي بالجبرية الشيوعية في الأدب، أو ديكتاتورية الواقعية الاشتراكية.

وما لبث مذهب "الإلزام" القسري أن تجاوز أسوار روسيا الشيوعية إلى دول الستار الحديدي، بل تجاوزها أيضاً إلى معتنقي الشيوعية والاشتراكية في دول العالم، ومنها بعض الدول العربية التي كان نضر كبير من أدبائها وشعرائها يحتلون الساحة الأدبية، ويتفاخرون بأنهم من دعاة الواقعية الاشتراكية الملتزمين بها، وهم لا يعرفون اليوم كيف يوارون وجوههم بعد أن سقطت الشيوعية، وهي الخلفية العقدية (الإيديولوجية) لمذهب الواقعية الاشتراكية.

كذلك اتخذت الفلسفة الوجودية، وعلى رأسها سارتر، من مصطلح الالتزام وسيلة لنشر مبادئها، بل لعلنا لا نبالغ حين نزعم أن الوجودية ذاعت وانتشرت عن طريق قصص سارتر ومسرحياته بأكثر مما انتشرت عن طريق مؤلفاته الفلسفية.

على أن الوجودية لم تقلب "الالتزام" إلى "إلزام" قسري كما فعلت الشيوعية، بل تركته التزاماً حراً، ينبع من شعور الأديب الوجودي بمسؤوليته، كما أن سارتر أخرج الشعر من دائرة الالتزام، وحصره في فن النثر بحجة "أن الحقائق هي التي تعبر عن مضمونات الالتزام، وليست

## ☆ د . عبدالرحمن رأفت الباشا :

الالتزام : أن يلتزم الأديب في كل ما يصدر عنه من أدب فكرياً محمداً من الأفكار أو عقيدة من العقائد ...



كذباً، نافعاً أو ضاراً، بناءً أو هداماً. ويشير الناقد "ولتر باتر" صراحة إلى الغاية من هذا الاتجاه الأدبي فيقول: " الغاية من الأدب ليست ثمار التجربة، بل التجربة نفسها ". ويقول غوتيه (8): " لا يوجد الجمال الحق إلا فيما لا فائدة منه، وكل مفيد سمح لأنه تعبير عن حاجة ما، وحاجات الإنسان دنيئة ومقززة كطبيعته المسكينة المعقدة.. وكل فنان يقترح شيئاً غير الجمال فليس فناناً في نظرنا ". ويعزز هذه النظرة الكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد حين يقول " ليس هناك كتاب أخلاقي " وكتاب مناف للأخلاق " إنما الكتب إما جيدة الصياغة أو رديئة الصياغة، هذا كل ما في الأمر " فكأن هذا المذهب يعزل الأدب عن الدين والقيم والمبادئ والأخلاق، بل عن كل عناصر الحياة الإنسانية الأصيلة النقية بدعوى المتعة الفنية الخالصة (10) .

ومع أن الدكتور محمد مندور يقرر أن مذهب الفن للفن لم يعد له وجود

غاية الشعراء استطلاع الحقائق أو عرضها" (9) بالإضافة إلى أن الصلة بين الشاعر والنص تنقطع بعد إبداعه إياه، والشعراء - على حد زعمه - قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية " .. على أن سارتر انتهى أخيراً إلى أن تراجع عن موقفه من الشعر، فأدخله مع النثر في دائرة الالتزام.

أما في المذاهب الحرة (الليبرالية) ولدى كبار الأدباء في العالم في ذلك بعض كبار الأدباء في العالم العربي فإننا نستظهر ثلاثة مواقف متباينة: أولها: موقف يرفض الالتزام تحت شعار " الفن للفن " أو " الفن الصافي ". وتعريف " الأدب " عند دعاة " الفن للفن " أنه فن جميل مهمته أن يستثير الشعور بالجمال، والجمال وسيلة وغايته (8). وهكذا "تتظر هذه المدرسة إلى جمال الشكل وبراعة الصنعة، فما دام الأديب ماهراً في صناعته بحيث يثير فينا الإحساس بالمتعة، فلا ينبغي أن ننظر في مضمون قوله: إن كان صدقاً أو

نحن معشرَ رجال الأدب نقوم بالدور الرئيسي في هذا التطور، وأن وظيفتنا نحن معاشرَ الفنانين والشعراء هي أن نتقّف العالم."

ويقول الشاعر والناقد المعروف ت. س. إليوت (١٥) عن مهمة الشعر وعلاقته بالمجتمع: "أظن أن أول مهمة من مهمات الشعر هي على وجه اليقين: إثارة المتعة، ولكن للشعر دائماً هدفاً أبعد من الهدف الخاص أو المعين، وهو أن الشعر يحاول دائماً إيصال تجربة جديدة ما، أو إلقاءً

غنيمي هلال (١٣): "يخطئ من يعتقد أن الاتجاه العام في الأدب الملتزم يمثله الوجوديون وحدهم، أو يمثله سارتر وحده من بينهم، والحق أن الأسس العامة للالتزام تتمثل في تيار النقد الغالب على العالم الغربي".

وقد لخص الدكتور لويس عوض ما دار في مؤتمر الكتاب الذي عقد في مدينة أدنبره، وشارك فيه نحو من عشرين كاتباً - حول موضوع الالتزام فقال (١٤):

"فإذا أردت أن تعرف نتيجة

فإن الدكتور محمد مصطفى هدارة يقرر أن المدرسة التعبيرية تشترك مع مذهب الفن للفن في النظرة نفسها، حيث يقول سبنجارن: "إنه ليس من شأن الأديب نشر أية دعوة أخلاقية أو اجتماعية، وغاية ما يعنيه من الأدب توقد الإحساس وتوجهه (١٠)".

ويقال الأمر ذاته في "مدرسة اللاوعي أو السيرالية أو ما فوق الواقع لأنها تقوم على استبعاد المنطق ومجافاة العقل ومعاداة الواقع، وتحاول أن ترد الإنسان إلى غرائزه وقواه الفطرية بعيداً عن العقل، أو كما يعرفها رائدها أندريه بريتون في أول بيان سيراليي أصدره بأنها "إملاءات فكرية في غيبة كل ضابط يفرضه العقل، وبعيداً عن كل اهتمام جمالي أو أخلاقي (١١)".

أما الموقف الثاني لدى غير الملتزمين بالمذاهب السابقة فهو موقف محايد أو متردد بين رفض الالتزام أو قبوله، وفي هذا يقول الأديب الفرنسي جان كوكتو (١٢): "أنا محايد، أتردد أمام الالتزام".

ونستطيع أن نضيف إلى هذا الموقف المحايد أو المتردد ذلك الموقف المتناقض الذي نراه لدى عدد من كبار الأدباء العرب وعلى رأسهم طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد.

أما الموقف الثالث لدى غير الملتزمين بالمذاهب السابقة فهو موقف يقبل الالتزام، ويحض عليه، ويأخذ بهذا الموقف كثير من الأدباء والنقاد العالميين حتى ليقول الدكتور محمد

## ☆ نورمان مالر:

# إن الالتزام هو بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم صداماً أفضى إلى الفوضى ..

ضوء جديد على شيء مألوف، أو التعبير عن شيء بيدنا ولم نستطع أن نصفه في كلمات، مما من شأنه أن يغنيَ وعَيْنَا، ويرهف حساسيتنا، وليس بشعر على الإطلاق ما لا يثير في الإنسان هذين الأمرين."

وفي هذا أيضاً يقول الشاعر والناقد الأمريكي الكبير ستيفن سبندر (١٦): "الشعر ليس مجرد تصوير لحظة احمرار وجنات الحبيبين أو رؤية جمال زهرة أو روعة لون الغروب، بل الشعر هو الذي يمتد

هذه المناظرة خرجت بأن أكثر الكتاب الذين اشتركوا في الحديث وقفوا وأعلنوا أنهم يؤمنون بالالتزام، أي يعتقدون بأن كل كاتب لابد أن يكون مرتبطاً بقضية أو أخرى".

ومن كبار الكتاب العالميين الذين أدركوا أهمية الالتزام الأديب الروسي الكبير تولستوي الذي يقول في قصته المشهورة "أنا كارنينا": "كان الحكم الذي أصدره رفاقي من رجال الأدب على الحياة مؤداه أن الحياة عامة تعبر عن حالة من التقدم، وأننا

## ☆ الشاعر والناقد الأمريكي ألن تيت: إن دعاة الالتزام في العالم الحر يرون أنه لو نهض الشعراء والأدباء بمسؤولياتهم الأدبية لها وقع النظام الحر فيها وقع فيه من مخاطر..

بطبعه عقيم، وأن الأديب أثرٌ بطبعه، ولكن معناه أن الإصلاح والتغيير، وتحسين حال الشعوب، وترقية شؤون الإنسان أشياء تصدر عن الأدب، كما يصدر الضوء عن الشمس، وكما يصدر العبير عن الزهرة". ويقول في إحدى المناظرات الأدبية (٢٠): "لسنا محتاجين دائماً أن نتخذ كل شيء وسيلة، وأن نجعل كل شيء غاية. إنما نتخذ الأدب غاية في نفسه. ليس من الضروري أن نسخر الأدب لهذا الغرض أو ذاك".

وبينما نرى توفيق الحكيم يعلن أن (٢١): "الأديب يجب أن يكون حراً، لأن الحرية هي نبع الفن، وبغير الحرية لا يكون أدب ولا فن". ويقول أيضاً (٢٢): "إن مطامع الناس شاءت أن تمتد أيديها الفانية إلى هذا الجواهر السامي (الفن) لتسخره لمذح الملوك من أجل المال والثراء، أو لنشر الدعوة في الدين والسياسة من أجل الثواب أو الجزاء، ولكن كلمة الفن هي العليا دائماً"، إذا به يستدرك فيقول (٢٣): "أما إذا كان في الإمكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرةً من قيمته

سببه فقدان الشعور بالمسؤولية لدى أولئك الذين يملكون فن الكلمة، وهم الكتاب عامة والشعراء خاصة".

**موقف الأدب العربي من الالتزام:**  
قدمنا أن عدداً من كبار الأدباء العرب الذين يعدون من رواد النهضة الأدبية كانوا في موقفهم من الالتزام أقرب إلى الموقف المحايد أو المتردد، فقد رفضوا الالتزام والتسخير الذي يصادر حرية الأديب دون أن يرفضوا عملياً الالتزام الطوعي العفوي.

فبينما نرى طه حسين يلتزم في كثير من نتاجه الأدبي بأفكار معينة، يعمل على نشرها، ويخوض المعارك الأدبية والفكرية في سبيلها إذا به يقول (١٨): "وإذن فالذين يقولون: يجب أن يكون الأدب للحياة، ويظنون أنهم يقولون شيئاً جديداً لا يقولون في حقيقة الأمر شيئاً. فكل أديب في أي أمة من الأمم إنما هو بصور نوعاً من أنواع حياتها.. فأما أن يسخر ليكون وسيلة من وسائل الإصلاح أو سبيلاً من سبل التغيير في حياة الشعوب، فهذا تفكير لا ينبغي أن نساق إليه، ولا نتورط فيه. وليس معنى هذا أن الأدب

سلطانه فيشمل الحياة بأسرها، بل وما بعد الحياة. هو ذلك النهر الهائل الذي يروي الحياة كلها... والشاعر يضع نصب عينيه دائماً الظروف التي تحيط بالحياة، إذ لا يمكن أن يجرب الحياة دون أن يُضطر إلى التفكير في المشاكل الإنسانية الجوهرية. وما النظم السياسية والاجتماعية إلا محاولات لحل هذه المشاكل حتى نستطيع أن نختار الحياة. لذلك نجد أن الشاعر يجبر على أن يعيد النظر في هذه الحلول وحينئذ قد يتبين له أنها تتحقق فيها إلى حد ما الشروط الجوهرية للوجود الإنساني، وقد يتبين له العكس أيضاً، وبهذا المعنى لا شك أن الشعر نقد للحياة".

ويقول الروائي الأمريكي نورمان مالر في مؤتمر أدنبره الذي سبقت الإشارة إليه (١٧): "إن الالتزام هو بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم صداماً أفضى إلى الفوضى".

وقد سئل الشاعر والناقد الأمريكي ألن تيت عن مسؤولية الشاعر: أمام من تكون؟ وعمّ تكون؟ فأجاب ما خلاصته (١٨): "إن دعاة الالتزام في العالم الحر يرون أنه لو نهض الشعراء والأدباء بمسؤولياتهم الأدبية لما وقع النظام الحر فيما وقع فيه من مخاطر. ولما كنا تعرضنا للحرب العالمية الثانية، ورزحنا تحت ويلاتها. كما يرون أن قيام (النازية الهتلرية) يصور إخفاقنا في تطبيق المبادئ الديمقراطية، وهو إخفاق

الدعوة إلى مادية الأدب وتسخيره للأغراض الوضيعة.

وقد سئل العقاد عن هذا النقاش فأجاب بأن اليوم الذي يُستخدم فيه الأدب للدعاية الاجتماعية لهو اليوم الذي ينقلب فيه الإنسان طفلاً.. ومضى العقاد يؤكد أن أمل الإنسانية أكبر من أن يتعلق بحاجة الطعام والكساء، ويحبذ كلام الأستاذ توفيق الحكيم حين شبه المجتمع الذي يستخدم الفن للرفيف بالطفل الذي يضع الحلية في فمه، لأنه لا يحسن أن يتملاها بنظره. وختم العقاد التعليق بأنه لم يخطئ أحمد أمين في حرصه على المصالح الاجتماعية، لأنه مثله يحرص على هذه المصالح، ولكن الفنون ذات هدف أقوى من النفع المادي.

وقد ردّ الأستاذ أحمد أمين على تعقيب العقاد بما يضيق شقة الخلاف إذ قال (٢٥): إن الفردية التي يعيها هي الأناية والأثرة، وأن الاجتماعية (التي يدعو إليها) هي الغيرية والإيتار، وبهذا التحديد يتفق الحكيم والعقاد معه (أو يلزم أن يتفق الأستاذان معه) على أن الرقي الأخلاقي والاجتماعي سائر نحو الاجتماعية.

وإذا كانت المشكلة في جوهرها هي مشكلة اتجاه الأدب إلى الفن وحده بعيداً عن الإصلاح أو اتجاهه للفن والإصلاح معاً، فقد حسم الأمر لدى المختلفين جميعاً، حين يوازنون بين قطعة فنية رائعة تخدم هدفاً إصلاحياً، وقطعة لا تقل عنها جودة تقتصر على الوصف الأدبي دون هدف..

توفيق الحكيم بأن أدبه في أكثر كتبه هو من صميم الأدب الملتزم.

ولعل من المفيد أن نتحدث عن حوار تم بين كل من توفيق الحكيم والعقاد وأحمد أمين على صفحات مجلتي الرسالة والثقافة (٢٦)، ولباب الحوار لا يخرج عما عرف بمذهب الفن للفن مقارناً بمذهب الفن للإصلاح، إذ دعا الأستاذ أحمد أمين في العدد / ٢٧٥ / من مجلة الثقافة إلى أن يتجه الأدباء إلى المجتمع كما يتجهون إلى أنفسهم، وإلى أن يتعرف الأديب الحياة الجديدة للأمة العربية، ويقودها ويحدث في إصلاح عيوبها.. ليكون الأديب داعية خير ورسول أمة وراسم هدف. فردّ عليه الأستاذ توفيق الحكيم في العدد / ٥٦٢ / من مجلة الرسالة قائلاً: إن أحمد أمين يريد أن يستخدم الأدب في الدعاية الانتخابية والتجارية وما يجري هذا المجرى. وقد ردّ عليه الأستاذ أحمد أمين بأن هناك فرقاً بين الدعوة إلى أن تكون الحياة الاجتماعية والوعي الاجتماعي من مصادر الأدب، وبين

الفنية العليا فإني أرحب به، وأسلم على الفور بأنه الأرقى، ولكن هذا لا يتهيأ إلا للأفذاذ الذين لا يظهرون في كل زمان". ويقول أيضاً (٢٦): "هنالك صلة في اعتقادي بين رجل الفن ورجل الدين، ذلك أن الدين والفن كلاهما (يضيء) من مشكاة واحدة هي ذلك القبس العلوي الذي يملأ قلب الإنسان بالراحة والصفاء والإيمان... وأن مصدر الجمال في الفن هو ذلك الشعور بالسمو الذي يغمر نفس الإنسان عند اتصاله بالأثر الفني... ومن أجل هذا كان لابد للفن أن يكون مثل الدين قائماً على قواعد الأخلاق".

ويقول مرة ثالثة (٢٦): "لو علم رجل الفن خطر مهمته لفكر دهرًا قبل أن يخط سطرًا.."

وأخيراً يعلن توفيق الحكيم (٢٦) أن "حرية الأديب لا تتنافى عنده مع مبدأ الالتزام، فهو يريد أن يكون التزام الأديب أو الفنان شيئاً حراً ينبع من أعماق نفسه.. إذ يجب أن يلتزم وهو لا يشعر أنه يلتزم" ثم يصرح

## ☆ د . طه حسين :

إن الإصلاح والتغيير وتحسين حال الشعوب وترقية شؤون الإنسان أشياء تصدر عن الأدب كما تصدر الضوء عن الشمس..



على أن المراد في الفن على التأثير المستشف، لا على التقرير السارد. وقد حصر الأستاذ أحمد أمين المجال في أضيق نطاقه حين قال ببساطته الواضحة<sup>(٣٦)</sup>: " لعل نقطة الخلاف الحقيقية بين الأستاذ الحكيم وبينني هو أنه يريد أن يقدر الفن بجماله فقط، وأنا أريد أن أقدره بجماله وأخلاقياته معاً "

ومن رواد النهضة الأدبية الذين أخذوا بالالتزام كاتب الإسلام الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الذي التزم بالتصدي لدعاة التغريب في الفكر والأدب.

ومن كبار الأدباء العرب الذين وقفوا من الالتزام هذا الموقف الإيجابي دون أن يكونوا منضويين تحت مذهب أدبي عقدي أو غير عقدي الأديب الكبير محمود تيمور الذي يقرر أن الرسالة الملقاة على عاتق الفنان - أيا كان - هي رسالة إنسانية تقتضي منه " الإحساس بالحياة التي يحيها، والتعمق في المجتمع الذي يعيش

فيه، وتزكية ما يلتمع في ذلك المجتمع وفي تلك الحياة من مثل كريمة، تدعو إلى حرية وحق وخير وسلام "<sup>(٣٧)</sup>.

ويقول الدكتور شوقي ضيف عن علاقة الأديب بالمجتمع<sup>(٣٨)</sup>: " والذي لاشك فيه أن الأديب لا يكتب أدبه لنفسه، وإنما يكتبه لمجتمعه. وكل ما يقال عن فرديته المطلقة غير صحيح، فإنه بمجرد أن يمكس بالقلم يفكر فيمن سيقروونه، ويحاول جاهداً أن يتطابق معهم، ويعي مجتمعهم وعياً كاملاً بكل قضايا وأحداثه ومشاكله لسبب بسيط، وهو أنه اجتماعي بطبعه، ومن ثم كانت مطالبته أن يكون اجتماعياً في أدبه مطالبة طبيعية "

ومن الأدباء الذين نادوا بالالتزام الناقد المعروف الأستاذ محمد النويهي الذي ألف كتاباً سماه " الأدب الهادف " وكان من قوله فيه<sup>(٣٩)</sup>: " الرسالة الملقاة على عاتق الفنان - أيا كان - هي رسالة إنسانية تقتضي منه الإحساس بالحياة التي يحيها، والتعمق في المجتمع الذي يعيش فيه،

وتزكية ما يلتمع في ذلك المجتمع وفي تلك الحياة من مثل كريمة، تدعو إلى حرية وحق وخير وسلام "

أما الأدباء والنقاد الذين أخذوا بالالتزام منطلقين من مذاهب عقديّة متنوعة فقد كانوا فريقين اثنين: فريق يلتزم بالمذاهب العقديّة المأخوذة عن الغرب وهي المذاهب الاشتراكية والوجودية والحدائثية بصورة عامة، وفريق يلتزم بالتصور الإسلامي الذي جاء رداً على التزام الفريق الأول.

يقول الأستاذ غالي شكري مؤكداً التزام الشاعر المعاصر بالمذاهب العقديّة<sup>(٤٠)</sup>:

" والحق أنه إذا أثير السؤال: هل للشاعر الحديث إيديولوجية أم لا؟.. أجبنا على الفور بأن الشعر لم يكن في يوم من الأيام إيديولوجياً بالمعنى العميق المسؤول، كما هو الآن "

ويتحدث الدكتور إحسان عباس عن تداخل السيربالية والماركسية والوجودية في الشعر العربي المعاصر فيقول<sup>(٤١)</sup>: " هذان - أي السيربالية والماركسية - تياران ثوريان يفعلان بعمق في الشعر العربي المعاصر، ويتبنيان قضية الالتزام، فإذا أضفت إليهما تياراً ثورياً ثالثاً يأخذ من هذا وذلك، وهو التيار الوجودي، الذي بيني مضمونه للأدب والشعر على أساس من الالتزام أيضاً وضّح لك أن تطبيق مفهوم الالتزام لن يتحدد في شكل واحد، ولكنه يجيء على أشكال متفاوتة تبني جميعاً على أصل مشترك هو الدفاع عن إنسانية الإنسان "

## ☆ توفيق الحكيم:

إذا كان في الإمكان وجود  
فن يخدم المجتمع دون أن  
يفقد ذرة من قيمته الفنية  
العليا فإنني أرحب به وأسلم  
على الفور بأنه الأرقى ..



☆ أحمد أمين :

لعل نقطة الخلاف الحقيقية بين الأستاذ الحكيم وبينني هو أنه يريد أن يقدر الفن بجماله فقط، وأنا أريد أن أقدره بجماله وأخلاقياته معا..



وقبله: ممارسة ومعاناة، إنها قبول بكل مستلزمات الحداثة: الكشف، والمغامرة، واحتضان المجهول."

وهكذا تجلّت حقيقة الحداثة في قول كمال أبو ديب في مجلة فصول<sup>(٣٤)</sup>: "الحداثة انقطاع معرفي، ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث في كتب ابن خلدون الأربعة، أو في اللغة المؤسساتية والفكر الديني وكون الله مركز الوجود.. الحداثة انقطاع لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر والفكر العلماني (اللا ديني) وكون الإنسان مركز الوجود، وكون الشعب الخاضع للسلطة مدار النشاط الفني، وكون الداخل مصدر المعرفة اليقينية، إذا كان هناك معرفة يقينية، وكون الفن خلقاً واقع جديد."

كما تجلّت حقيقة الحداثة في قول أدونيس في كتابه "مقدمة للشعر العربي"<sup>(٣٥)</sup>: "إنها- أي الحداثة- تجاوز الواقع أو اللاعقلانية، أي الثورة على قوانين المعرفة العقلية، وعلى المنطق، وعلى الشريعة من حيث هي أحكام تقليدية، تُعنى بالظاهر.. وهذه الثورة تعني التوكيد على الباطن، وتعني الخلاص من المقدس وإباحة كل شيء."

ومن هنا أظهر الدكتور محمد مصطفى هدارة في محاضرة ألقاها في مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية تم نشرها في كتابه "دراسات في النقد الأدبي" خطر هذه الحداثة المدمرة الحالية لكل شيء إذ يقول<sup>(٣٦)</sup>:

عن الانتساب المباشر إليها ليعملوا مع ألافهم من الوجوديين ودعاة الواقعية بأنواعها وسائر الملتزمين بتيار التغريب تحت اسم جديد هو "التنويريون" وتحت خيمة واحدة، استظلوا بها جميعاً، وهي خيمة "الحداثة" الفلسفية الشاملة التي كان أدونيس رافع لوائها ومنظرها الأول.

وقد بين أدونيس بكل صراحة أن الحداثة ليست تحديثاً للشكل، وإن كانت قد انطلقت من دعوى التجديد في الشكل الشعري لتصل إلى مضمون الحداثة بمعناها الفلسفي الشامل، وهذا ما عبّر عنه أدونيس بقوله<sup>(٣٧)</sup>: "لا يكفي أن يتحدث الشاعر عن ضرورة الثورة على التقليد، وإنما عليه أن يتبنى الحداثة. وليست الحداثة أن يكتب قصيدة ذات شكل مستحدث، شكل لم يعرفه الماضي، بل الحداثة موقفٌ وعقلية، إنها طريقة نظر وطريقة فهم، وهي فوق ذلك

ولعل الدكتور إحسان عباس- وهو منحاو إلى الملتزمين بهذه التيارات- يكون أكثر إنصافاً لو قال: إن الأصل المشترك بين هذه الفئات المختلفة هو الاتجاه اليساري الذي يتحدث الدكتور إبراهيم الحاوي عن محاوره فيقول<sup>(٣٨)</sup> "وتبنى الشعر المعاصر قيماً محددة فرضها عليه الواقع السياسي الذي مرّت به الأمة العربية منذ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م. وتحدّد مضمون هذه القيم بالثورية حيناً، والتمرد والرفض حيناً آخر، حتى كادت هذه المضامين تستحوذ على اهتمامات معظم الشعراء في بلدان العالم العربي المختلفة، وتصبح النزعات المسيطرة والسماوات الواضحة لاتجاهات الشعر المعاصر وميوله."

وعندما سقطت الواقعية الاشتراكية بسقوط النظام الشيوعي في الاتحاد السوفييتي كان لسقوطها صدىً كبير أدى إلى إحباط النقاد الملتزمين بها.. وسرعان ما تخلّوا

## ☆ محمود تيمور:

إن الرسالة الهلقة على  
عائق الفنان هي رسالة  
إنسانية تقتضي منه الإحساس  
بالحياة التي يحياها، والتعمق في  
الهجته الذي يعيش فيه ..



والحقيقة أن الحداثة أخطر من ذلك بكثير، فهي اتجاه فكري أشد خطورة من الليبرالية، والعلمانية، والماركسية، وكل ما عرفته البشرية من مذاهب واتجاهات هدامة، ذلك أنها تتضمن كل هذه المذاهب والاتجاهات، وهي لا تخص مجالات الإبداع الفني أو النقد الأدبي، ولكنها تعم الحياة الإنسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية على السواء.. وهي بمفهومها الاصطلاحي اتجاه جديد يشكل ثورة كاملة على كل ما كان، وما هو كائن في المجتمع."

على أن من الإنصاف أن نقول: إن كثرة من الحداثيين في هذا البلد الكريم أعلنوا رفضهم لحداثة أدونيس، وتبنوا الحداثة على أنها تجديد فني يلتزم بثوابت الدين، ولا يقبل القطيعة مع التراث.

### موقف الأدب الإسلامي من الالتزام:

وأمام طغيان الإلزام الشيوعي والالتزام بالوجودية والواقعية المنحرفة والحداثة الفلسفية المدمرة لم يكن ثمة بد من الدعوة إلى الالتزام الإسلامي في الأدب.

فما هو هذا الالتزام الإسلامي؟ وما هي حججته ومسوغاته؟ وما هي خصائصه وسماته؟

وأول ما يقال في الرد على هذه التساؤلات أن الأدب الإسلامي أدب هادف ملتزم، بل لا يتصور وجود الأدب الإسلامي دون التزام.. ذلك أننا يمكن أن نعرف الإنسان المسلم بأنه إنسان ملتزم بالإسلام، والأديب المسلم إنسان مسلم فهو بالضرورة

على خلاف الأجيال الأولى التي لم تكن تتصور أن العبادة هي الشعائر فقط.. ولو تصورنا أن العبادة محصورة في هذه الشعائر.. فكم تستغرق إذن من عمر الإنسان؟ لا يستغرق ذلك إلا جزءاً قليلاً منه، ففيم ينقضي عمر الإنسان؟ في العبادة أم خارجها؟ لو كان خارجها ما كنا كما أراد الله أن نكون.. ولو كان ينقضي داخلها فيجب أن نوسع مفهوم العبادة. فلا تقصرها على الشعائر فقط، وهذه العبادة المقصودة في الآية الكريمة تشمل الحياة كلها بمختلف أنشطتها. وبما أن الأدب والتعبير الجمالي هو نشاط بشري، لزم إذن أن يكون ضمن دائرة الإسلام التي شملت كل نشاط في حياتنا. ومن البدهيات أيضاً أن المسلم - أديباً أو غير أديب - يجب أن تكون حياته داخل دائرة العبادة الإسلامية. وكذلك النشاط الأدبي يجب أن يكون ملتزماً بتلك الدائرة، فلا يظن

ملتزم بالإسلام.. إلا أن يكون إسلامه اسماً بالهوية فقط، أو لا يكون فاهماً لحقيقة الإسلام.

والأديب الإسلامي مسلم أولاً، ثم أديب ثانياً، وليس للأديب - كما يقول الأستاذ محمد قطب - خصوصية تبيح له أن يخرج عن الإسلام بحجة الموهبة الأدبية، فالموهبة الأدبية لا تستلزم الخروج على الله، ومقتضيات الفن الصحيح والأدب القويم لا تستدعي الخروج عن حدود الدين.

وفي بدهية الالتزام الإسلامي في الأدب يقول الأستاذ محمد قطب أيضاً<sup>(٢٧)</sup>: "إن المفروض على المسلم أن يعيش الإسلام في كل دقيقة من حياته، فالله عز وجل يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات). وهذا التعبير القرآني يعني أن غاية الوجود البشري محصورة في عبادة الله، ولكن هذا المعنى قد يحتاج في أحياننا المتأخرة إلى توضيح..

الأديب أنه في مجال الأدب يسقط عنه التكليف فيفكر كيف يشاء، ويكتب كيف يشاء.. فهذا خطأ، والصحيح أن يشعر أنه مسلم أولاً، وأديب ثانياً، فيكون نشاطه ملتزماً بالعبادة في مفهومها الواسع."

وفي القرآن الكريم أيضاً نجد مسوغاً آخر للالتزام الإسلامي

في الأدب، فالله عز وجل يقول: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ [الشعراء].

وهذه الآيات الكريمة تعني أن الشعراء سيكونون دائماً عرضة للغواية والإغواء إلا أن يلتزموا بالصفات التالية:

(١) أن يكونوا مؤمنين حقاً: "إلا الذين آمنوا..."

(٢) أن يكون إيمانهم مصدقاً بالعمل الصالح: "وعملوا الصالحات".

(٣) أن يكثرُوا من ذكر الله حتى تتحقق فيهم تقوى الله: "وذكروا الله كثيراً".

(٤) وأن يكون شعرهم سلاحاً ينتصرون به من الظلم: "وانتصروا من بعد ما ظلموا".

وهذه السمات الأربع التي تميز الشعراء المؤمنين هي التي تحدد التزامهم بالإسلام قولاً وعملاً، وهي التي تجعل الشعر سلاحاً بأيدي المؤمنين كما جعله رسول الله ﷺ في المعركة التي دارت رحاها بين الإسلام ومشركي قريش، حين قال لأصحابه (٢٨):

"جاهدوا المشركين بألسنتكم" وقال أيضاً: "اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق النبل. وكان من قوله ﷺ: "أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى".

قالت عائشة فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك، نافحت عن الله ورسوله، وقالت عائشة: سمعت رسول

الله ﷺ يقول: هجاهم حسان فشفي واشتفى (٣٩).

والالتزام في الأدب الإسلامي التزام عقدي، والعقيدة في الفن سمو به إلى أكبر حقيقة في الكون، (وهي عقيدة التوحيد) وهذا ما يجعل الفن كونياً واسعاً (٤٠) لأنه يعبر عن حقيقة الوجود.

والالتزام في الأدب الإسلامي التزام عفوي لأنه لا إكراه في الدين، ولأن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز: ﴿... أَنزَلْنَا مَكِّمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ (هود) ولأن الالتزام في الأدب الإسلامي التزام عفوي فهو لا يفسد التجربة الأدبية، ولا يجعلها ضيقة مصطنعة، أو مزيفة.

وهذا الإلزام شامل لكل التجارب الإنسانية في كل زمان ومكان. ومن هنا كان تعريف الأدب الإسلامي بأنه التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي. وما دام الأدب الإسلامي قائماً على التصور الإسلامي الصحيح فإلن يضل ولن يضل إن شاء الله.

وفي مجال الدعوة إلى هذا الأدب الذي ينطلق من عقيدة الأمة وتراثها يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة (٤١): "فإذا دعونا إلى أدب إسلامي عنيها به مذهباً أدبياً له خصائصه الفكرية والفنية، التي تعبر عن شخصيتنا الإسلامية وتراثنا.. وقاعدته الفكرية التي ينطلق منها هي الإسلام، وهو أرقى وأشمل في نظرتة

☆ د. شوقي ضيف:  
إن الأديب لا يكتب أدبه  
لنفسه وإنما يكتبه لهجته،  
وكل ما يقال عن فرديته  
الطلقة غير صحيح..



للكون والإنسان من كل الفلسفات المثالية والعقلية والمادية التي قامت عليها المذاهب الأدبية المختلفة، وهو لا ينبع من تعصب فكري، ولا يؤمن بالمفارقة بين ما تدعو إليه العقيدة من التزام ديني، وما يدعو إليه الفن من انطلاق وتحرر لتحقيق الجمال ومتمعة الذوق" ■

## ☆ ت.س. إليوت : .. للشعر دائماً هدفاً أبعد من الهدف الخاص أو المعين وهو محاولة إيصال تجربة جديدة ما، أو إلقاء ضوء جديد على شيء، مألوف ..

- الهوامش:
- (١) الاشتراكية والأدب - لويس عوض ١٨٠ ( نقلًا عن الالتزام الإسلامي في الشعر ، د.ناصر الخنين ص ٢٦ ) .
- (٢) النقد الأدبي الحديث - محمد غنيمي هلال ٤٥٦ .
- (٣) الالتزام في الأدب الإسلامي - محمد مصطفى هدارة، ص ١ ( من بحوث ندوة الأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٥ هـ
- (٤) المعجم الأدبي - جبور عبد النور، ص ٣١ .
- (٥) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد - د. عبد الرحمن الباشا ، ص ١١٩، نشر جامعة الإمام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٦) انظر " المصدر السابق "، ص ١٢٠ .
- (٧) انظر كتاب " ما الأدب " لسارتر، ترجمة د.محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر .
- (٨) قضايا النقد الأدبي . د . بدوي طبانة، ص ٧٠ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٢ م .
- (٩) المذاهب الأدبية . فان تيفم، ص ٢٦٢ - ٢٦٥ .
- (١٠) الالتزام في الأدب الإسلامي ( المصدر السابق )، ص ٣، وانظر الأدب وقيم الحياة د . محمد زكي العشماوي ص ١٧٧ - الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٤م .
- (١١) الالتزام في الأدب الإسلامي - هدارة، ص ٣ " المصدر السابق " .
- (١٢) الالتزام في الشعر العربي - د . أحمد أبو حاقه، ص ١٣ - دار العلم للملايين، بيروت سنة ١٩٧٩ م .
- (١٣) قضايا معاصرة في الأدب والنقد - د.محمد غنيمي هلال، ص ١٤٧ - دار نهضة مصر .
- (١٤) الاشتراكية في الأدب ص ١٧٨ ( نقلًا عن الالتزام الإسلامي " المصدر السابق "، ص ٩٨ .
- (١٥) مقالات في النقد الأدبي - ترجمة د . لطيفة الزيات ص ٤٥ ( نقلًا عن الالتزام الإسلامي، ص ٩٦ ) .
- (١٦) الأدب وقيم الحياة المعاصرة " المصدر السابق "، ص ١٩٤ .
- (١٧) الاشتراكية في الأدب " المصدر السابق "، ص ١٨٠
- (١٨) دراسات في النقد - ألن تيت ترجمة د . عبد الرحمن ياغي، ص ١٢٨ وما بعدها ( الالتزام الإسلامي - المصدر السابق ٩٧ ) .
- (١٩) نماذج أدبية د . عبد القدوس أبو صالح، ص ١٧٠ - مكتبة الجامعة العربية - حلب .
- (٢٠) قضايا النقد الأدبي - د . بدوي طبانة، ص ٧٠ " المصدر السابق " .
- (٢١) الالتزام في الشعر العربي - أبو حاقه، ص ٣٦٧ " المصدر السابق " .
- (٢٢) فن الأدب - توفيق الحكيم، ص ٧٤ - ٧٦ - القاهرة - مكتبة الآداب .
- (٢٣) فن الأدب - توفيق الحكيم، ص ٧٤ - ٧٦ - القاهرة - مكتبة الآداب .
- (٢٤) انظر : حديث القلم للدكتور محمد رجب البيومي، ص ٢٥٣
- (٢٥) مجلة الثقافة العدد ٢٧٩
- (٢٦) مجلة الثقافة - العدد ٢٧٩
- (٢٧) الأدب الهادف - محمد التيهي، ص ٦٧ ( عن الالتزام الإسلامي " المصدر السابق " ٢٢١ ) .
- (٢٨) في النقد الأدبي - د . شوقي ضيف، ص ١٩١ - دار المعارف بمصر .
- (٢٩) الأدب الهادف، ص ٦٧ " المصدر السابق " .
- (٣٠) شعرنا الحديث .. إلى أين .. غالي شكري ص ١٧٤ ( دار الأفاق الجديدة - بيروت )
- (٣١) اتجاهات الشعر العربي المعاصر - د . إحسان عباس ص ٢٠٤ ( عالم المعرفة - الكويت )
- (٣٢) حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي د . إبراهيم الحواي ص ١٦٨ ( مؤسسة الرسالة - بيروت )
- (٣٣) زمن الشعر - أدونيس ٨٨ ( دار العودة - بيروت ) .
- (٣٤) مجلة فصول، مجلد ٤، عدد ٢، ص ٢٧ - القاهرة .
- (٣٥) مقدمة للشعر العربي - أدونيس ص ١٢٧ - دار العودة - بيروت ) .
- (٣٦) دراسات في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق - د . محمد مصطفى هدارة - الدار الأندلسية للأؤفست ١٩٨٩ م ) .
- (٣٧) في المحاضرة التي ألقاها في مركز الملك فيصل بالرياض عن الأدب الإسلامي ولخصتها صحيفة المسلمون في العدد ٢٠٩ بتاريخ ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٤٠٩ هـ .
- (٣٨) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي .
- (٣٩) صحيح مسلم في باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه .
- (٤٠) منهج الفن الإسلامي - محمد قطب، ص ١٧٦
- (٤١) مجلة الأدب الإسلامي - المجلد الأول - العدد الثاني، ص ١٢ .